

# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

## Orthodox Archdiocese of Beirut

الأثر الأعمق هو بحثه «في وحدانية الكنيسة» وهو البحث الذي تتطهر فيه شخصية الكاتب القديس بوضوح. أما الظرف المباشر الذي أنتج هذا البحث النفيس فكان الانشقاق الذي ضرب كنيسة روما في أواسط القرن الثالث وبلغت مضاره كنيسة قرطاج. نشر القديس بحثه المذكور إبان مجمع قرطاجنة المكناني المنعقد في شهر أيار من العام ٢٥١، فكان العامل الأفعال في رأب الصدع وعودة المنشقين إلى الإيمان الحق.

في مقدمة بحثه يرد القديس كل انشقاق وهرطقة إلى الشيطان عدو المسيح وكنيسته، مشدداً على أن الانشقاقات والتعاليم

المُضِلَّة إنما هي أشد ضرراً من الاضطهادات. فهي تطال وحدة المؤمنين الداخلية، تقوّض الإيمان وتفسد الحقيقة. فالكنيسة المبنية على إيمان بطرس (متى ١٦: ١٦-١٨) والمرسلة بالخلافة الرسولية استمرارا لنور القيامة في العالم (يوحنا ٢٠: ٢١-٢٣) «هي الجذع الذي لا حياة لغصن ينفصل عنه». «وكما أن الجدول الذي ينقطع عن ينبوع يجف، هكذا أيضاً من ينفصل عن الكنيسة ينفصل حكماً عن ينبوع النعمة وسيدها»، يقول الأسقف القديس مضيافاً أن

### القديس كبريانوس القرطاجي

في اليوم الثاني من شهر تشرين الأول تعيد كنيستنا المقدسة لأب لامع من آبائها الأوائل هو القديس كبريانوس أسقف قرطاجة، الذي استشهد بقطع الهامة في ١٤ أيلول من العام ٢٥٨، بعد ثماني سنوات على أسقفيته قضى الأخيرة منها

منفياً (راجع سيرته مفصلة في السنكسار). سنواته على السدة الأسقفية قضاهما بالجهادات القاسية، حاضناً لخراف رعيته في زمن كثرت فيه الاضطهادات على

الكنيسة والقلاقل في داخلها.

ترك لنا القديس الشهيد إرثاً أدبياً غنياً إرشادي الطابع، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداث زمانه ويخدم غايات عملية. في كتاباته الوافرة يبان جلياً اهتمام القديس ببناء النفوس وهدايتها إلى بر الله أكثر من اللاهوت النظري، كل هذا بلغة وأسلوب رفيعي الأناقة والوضوح وبتأثير كبير من مفردات الكتاب الإلهي وصوره.

من بين جملة أبحاث القديس كبريانوس وكتاباته، لعل ما كان له

### الرسالة

(٢ كورنثوس ٤: ٦-١٥)

يا إخوة إن الله الذي أمر أن يُشرق من ظلمة نور هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح\* ولنا هذا الكنز في آنية خزفية ليكون فضل القوة لله لا مناً\* متضايقين في كل شيء ولكن غير منحصرين. ومتحيرين ولكن غير أئسسين\* ومضطهدين ولكن غير مخذولين. ومطروحين ولكن غير هالكين\* حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لتظهر حياة يسوع أيضاً في أجسادنا\* لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً إلى الموت من أجل يسوع لتظهر حياة المسيح أيضاً في أجسادنا المائتة\* فالموت إذن يجري فينا والحياة فيكم\* فإذا فينا روح الإيمان بعينه على حسب ما كتب إنني أمنت

العدد ٤٠/٢٠٠٥  
الأحد ٢ تشرين الأول  
تذكار القديس الشهيد في الكهنة  
كبريانوس والقديسة الشهيدة  
يوستينة البتول  
اللحن السادس  
إنجيل السحر الرابع

ولذلك تكلّمتُ فنحنُ أيضاً  
نوؤمنُ ولذلك نتكلّمُ\*  
عالمين أن الذي أقام  
الرب يسوع سيقيمنا نحن  
أيضاً بيسوع فننتصب  
معكم\* لأن كل شيء هو  
من أجلكم لكي تتكاثر  
النعمة بشكر الأكثرين  
فتزداد لمجد الله.

## الإنجيل

(لوقا ٦: ٣١-٣٦)

قال الربُّ كما تريدون  
أن يفعل الناسُ بكم  
كذلك افعلوا أنتم بهم\*  
فإنكم إن أحببتم الذين  
يحبونكم فأية منة لكم.  
فإن الخطاة أيضاً  
يحبون الذين يحبونهم\*  
وإذا أحسنتم إلى الذين  
يُحسِنون إليكم فأية  
منة لكم. فإن الخطاة  
أيضاً هكذا يصنعون\*  
وإن أقرضتم الذين  
ترجون أن تستوفوا  
منهم فأية منة لكم.  
فإن الخطاة أيضاً  
يقرضون الخطاة لكي  
يستوفوا منهم المثل\*  
ولكن أحبوا أعداءكم  
وأحسنوا وأقرضوا غير  
مؤمّلين شيئاً فيكون  
أجركم كثيراً وتكونوا  
بني العلي. فإنه منعم  
على غير الشاكرين  
والأشرار\* فكونوا رُحماءً  
كما أن أباكم هو رحيمٌ.

يحث القديس المجاهدين في إيمانهم  
على الالتصاق بالكنيسة أكثر فأكثر،  
«لأن الجهاد المبارك هو بداية  
المجد أما إكليل الغلبة فهو للذين  
يثبتون»، إذ إن المجاهد الروحي  
يستثير غضب الشيطان وحقده  
ويمسي له هدفاً. بمعنى آخر ما دنا  
على هذه الأرض فلنسا بمنأى عن  
التجارب، وهذه تتعاظم كلما ازدنا  
في المسيح نمواً، وتبقى حياة  
الكنيسة بالكلمة والأسرار سورنا  
الواقى المنيع.

في السياق الفكري لنفسه للقديس  
كبريانوس هناك تفسير رائع للصلاة  
الربية، أنشأه بضعة أشهر بعد بحثه  
«في وحدانية الكنيسة» ولعله يصلح  
تكملة له. يرى القديس في هذه  
الصلاة أكمل الصلوات كلها، إذ إن  
«الله يحب أن يسمعنا نتوجه إليه  
بكلمات ابنه، وعندما نتلوها يكون  
المسيح نفسه محامينا أمام العرش  
الإلهي». ويولي القديس في تفسيره  
الصلاة الربية اهتماماً بالغاً لما  
فيها من إشارات إلى الوحدة بين  
المؤمنين. يقول قديسنا الشهيد «ما  
أراد معلم السلام وسيد الوحدة أن  
تأخذ الصلاة طابعاً فردياً منصباً  
على الذات كأن يقول المصلي أبي  
الذي في السموات... خبزي الجوهري  
أعطني اليوم. في هذه الصلاة لا  
يطلب المصلي الغفران لذاته وحسب  
بل للجماعة، مشتركاً معها في أعمال  
البرقائلاً كما نترك نحن لمن لنا  
عليه. إله السلام الذي نزل من سمائه  
ليعيد التحام الخليقة التي فرّق فيما  
بينها الشرير، هو علمنا عبر هذه  
الصلاة أن نكون متحدين أمام الله.  
المؤمن يقف أمام ربه حاملاً الكل  
في صلاته، متشبهاً بالمسيح الذي  
حمل الخليقة كلها في ذاته»، يعلم  
الأسقف القديس الذي قضى سنوات  
رعايته مجاهداً حتى شهادة الدم من  
أجل وحدة جسد المسيح.

«كنيسة الرب تثبت في أنحاء الكون  
كلها إشعاعات نوره، ويبقى النور  
واحداً لا يتجزأ». وعن الكرامة  
الأسقفية يقول القديس إن كل أسقف  
سوي الإيمان يتحقق فيه ملء  
الكنيسة، لأنه بنعمة الله سليل رسل  
السيد الذين تلقوا من فمه المبارك  
الأمانة وحفظوها بلا زيغ.  
والأساقفة في كل زمان ومكان هم  
كأنهم واحد، لأنهم استمروا للإيمان  
الرسولي الواحد وإشعاعات للنور  
الواحد وهو المسيح رأس الكنيسة  
وختنها.

عن وحدانية الإيمان المبنية عليه  
كنيسة المسيح يشدّد القديس  
كبريانوس على أنه كما لم يخلص  
أحد من الطوفان إلا الذين ضمتهم  
سفينة نوح، لا يخلص أحد خارج  
الكنيسة، ولا يستطيع إنسان أن يتخذ  
الله أباً ما لم يتخذ الكنيسة أمّاً. «ولنا  
إذنا أم واحدة وحيدة هي الكنيسة،  
الغنية بخصوبتها، المستمرة في كل  
وقت تلد لله أبناءً وتغذيهم  
وتحضنهم وتحييهم، فاتحة ذراعها  
على الدوام لكل من يشتي بالتوبة  
ولادة جديدة»، يزيد الأسقف القديس.  
في المؤلف الذي نحن بصدده يتوجه  
القديس إلى المؤمنين محذراً من  
الهرطقة وتعاليمهم المضلة -  
وهؤلاء تجسدهم اليوم تعاليم العالم  
وحكمته - الذين انشقوا عن حظيرة  
المسيح وشوهوا معاني إنجيله.  
فبعضهم مثلاً يستند زوراً على الآية  
الشريفة «لأنه حيثما اجتمع إثنان  
أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في  
وسطهم» (متى ١٨: ٢٠) ليقول  
بإمكانية العيش مع المسيح خارج  
كنيسته... وهذا باطل أيما بطلان.  
فالآية المذكورة تفقد معناها  
الحقيقي متى انفصلت عما سبقها  
من آيات، والذي يجتزئ من الإنجيل  
كلمات أو بضع آيات يكون مفسداً  
للإنجيل غريماً لتعليم الله. كذلك

## تأمل

بعد أن رأيت الله صائراً إنساناً مظهراً مثل هذا التنازل متألماً من أجلك، أنت تتساءل الآن وتشك: كيف يمكن لي أن أغفر لإخوتي ظلمهم؟ ألم تسمع الرب يقول وهو على الصليب: «أغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يعملون» (لوقا ٢٣: ٣٤). ألم تسمع بولس يقول: «المسيح هو الذي مات بل بالحري قام، الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي يشفع فينا» (رومية ٨: ٣٤). ألم تر أنه بعد الصليب وبعد الصعود أرسل رسله إلى اليهود، الذين كانوا قد قتلوه، وذلك من أجل منحهم خيارات لا تحصى مع العلم ان الرسل سوف يعانون منهم شذائد كثيرة؟

ربما عانيت من الظلم. لكن هل عانيت القدر الذي عاناه سيّدك؟ ذاك ركع، جُلد، ضُرب على وجهه تقبّل البصاق من الخدّام، واجه الموت المنزلّ للغاية بعد إحساناته العديدة. وإن كانوا قد ظلموك كثيراً فأحسن لهم أكثر من ذلك

## الدائمة البتولية

«بتولية مريم وإنجابها وموت الرب، ثلاث حقائق خفيت عن رئيس هذا العالم. إنها أسرار ثلاثة تحققت في حمى الله بصمت وهدوء» (من رسالة القديس اغناطيوس الانطاكي إلى أهل أفسس ١: ١٩).

تطلق كنيسةنا المقدسة على والدة الإله العذراء مريم تسمية «الدائمة البتولية»، معلنة ان العذراء بقيت بتولاً قبل ولادتها الرب يسوع وأثناء الولادة وبعدها. لذا فقد درج التقليد الكنسي على وضع نجوم ثلاث تحيط برأس مريم دلالة على بتوليتها قبل الولادة وخلالها وبعدها.

أول من استعمل عبارة «الدائمة البتولية» كان القديس بطرس الإسكندري (٣١١+) الذي قال: «ولد يسوع حسب الجسد من مريم، سيدتنا القديسة المعظمة، والدة الإله الدائمة البتولية». والقديس أناسيوس الرسول (ق ٤) يقول: «انها عذراء في الحمل وبعد الولادة». والقديس يوحنا الذهبي الفم (ق ٤) يعظ قائلاً: «نحن نجعل أموراً كثيرة: نجعل كيف وُجد غير الموسوع في حشا البتول... وكيف ولدت العذراء وبقيت عذراء». كما يؤكد القديس غريغوريوس النيصصي (ق ٤) «ان حشا العذراء، الذي استُخدم لميلاد بلا دنس، مبارك، لأن الميلاد لم يبطل عذريتها كما ان العذرية لم تعق هذا الميلاد ولم تمنعه». أخيراً، يؤكد المجمع المسكوني السادس (٥٥٣) في قانونه الثاني ان المسيح «تجسد من القديسة المجيدة والدة الإله الدائمة البتولية مريم».

لقد رأت الكنيسة في والدة الإله صورة «الباب المقدس» الذي تحدث عنه النبي حزقيال في العهد القديم، الذي قال: «ثم أرجعني إلى طريق باب المقدس الخارجي المتجه

للمشرق وهو مغلق. فقال لي الربُّ هذا البابُ يكونُ مغلقاً لا يُفتحُ ولا يدخلُ منه إنسانٌ لأنَّ الربَّ إليه إسرائيلُ دخلَ منه فيكون مغلقاً» (حزقيال ٤٤: ١-٢). مريم العذراء هي هذا الباب الذي عبّره الرب الإله ليصير إنساناً ويخلص جنس البشر. هي العذراء التي تحدث عنها اشعيا النبي: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» (اشعيا ٧: ١٤ ومتى ١: ٢٣). معجزة دوام بتولية العذراء إذاً، متصلة بقداسة الحمل وقداسة الميلاد الفائقة العقل وقداسة المولود: «فلذلك... القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو ١: ٣٥). دوام بتولية العذراء جزء لا يتجزأ من حقيقة التجسد، ان المولود هو ابن الله.

مشكلة من يشكون ببتولية مريم الدائمة هي في قراءتهم الحرفية لبعض نصوص الكتاب المقدس وخاصة ما ورد في إنجيل متى: «أليس هذا ابن النجّار؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسبي وسمعان ويهوذا؟ أليست أخواته جميعهن عندنا؟» (١٣: ٥٥-٥٦). يستندون إلى حرفية هذه الآية ليقولوا ان ليسوع إخوة بالجسد من يوسف ومريم. قبل شرح هذه الآية نقول لهم بمنطقهم الحرفي: ان هذه الآية تقول ان ربنا يسوع المسيح هو «ابن النجّار»، أي ابن يوسف. هذا يعني في منطقهم ان يوسف هو الذي أنجبه! حاشا، لأننا نعلم والحرفيون يعلمون أيضاً ان الحبل به تم بالروح القدس (متى ١: ٢٠) وليس من أي كائن آخر، وما علاقته بيوسف سوى كون الأخير خطيب والدته. «لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبل من الروح القدس» (متى ١: ١٨).

أما بالنسبة إلى الإدعاء بأن ليسوع إخوة بالجسد فهو غير مبني

حتى تجعل إكليلك أبهى وحتى تحرر أخاك من المرض الأخير. والأطباء عندما يتقبلون الإهانات من قبل المرضى العصبيين يشفقون أكثر عليهم ويهتمون أكثر من أجل إعادتهم إلى الصحة لأنهم يعلمون ان الشئمة تأتي نتيجة لشدة سقمهم.

اتخذ أنت أيضاً مثل هذا الموقف وهكذا تصرف أمام الذين يسيئون إليك لأنه بالحقيقة هم الذين يمرضون وهم الذين يتحملون الأذى كلها. حرّهم إذا من هذه الأذى الكبيرة ادفعهم كي يتخلوا عن الغضب. حرّهم من هذا الشيطان اللعين شيطان الغضب. لأنه إذا شاهدنا أناساً بهم شيطان نشفق عليهم. فلا نعجل في جعل الشيطان يصيبنا نحن أيضاً. فلنعمل إذا كذلك أمام الذين يغضبون وكأن بهم شيطانا، ويتصرفون بطريقة يرثى لها أكثر من أولئك لأنهم يفعلون ذلك بكامل وعيهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

على أساس منطقي. إذا كان لإنسان أخ بالجسد فمن البديهي أن يكون أخوه إما من أبيه أو من أمه أو منهما مجتمعين. وإذا كان ليسوع إخوة من جهة أبيه، من زواج سابق فهذا لا يطعن في عذرية والدة الإله.

ان نظرية وجود إخوة ليسوع بالجسد من يوسف العفيف خطيب مريم كانت مقادولة في الكنيسة منذ القرون الأولى. أما عن وجود إخوة ليسوع بالجسد من مريم من ارتباط آخر غير ارتباطها بيوسف العفيف فهذا غير وارد في الكتاب المقدس، وحتى الحرفيون لا يدعون. يبقى الاحتمال الأخير بأن ليسوع إخوة من يوسف ومريم معا، وهنا تكمن المشكلة لأننا نؤمن ان مريم لم تكن أما سوى ليسوع. أما الأربعة المذكورة أسماؤهم في متى ١٣: ٥٥ ومرقس ٦: ٣، يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، فلا يمكن أن يكونوا إخوة ليسوع كما يدعي البعض لأن اثنين منهم على الأقل هما أولاد لمريم أخرى غير مريم العذراء وتسمى مريم أم يعقوب ويوسى (متى ٢٧: ٥٦ ومر ١٥: ٤٠)، وقد يكون يعقوب ابن مريم أخرى (مر ١٦: ١ ولو ٢٤: ١٠)، ويوسى ابن مريم أخرى أيضاً (مر ١٥: ٤٧). هذا يثبت أمراً أكيداً وهو ان بعض من سُموا إخوة ليسوع ليسوا إخوته بالجسد إذ لا يعقل أن يكون المرء ابناً لإمرأتين في الوقت نفسه، إضافة إلى عدم وجود نص يؤكد ان هؤلاء الإخوة هم أبناء لمريم العذراء نفسها أو ان مريم هي أمهم. لو كانت مريم العذراء أمهم لكان ورد ذكر ذلك في الإنجيل.

لو كان لمريم أولاد غير يسوع، هل يُعقل أن يُسلم يسوع والدته للتلميذ الذي كان يحبه، أي يوحنا، بدلاً من أن يدعو إخوته للاهتمام بها. قال الرب وهو على الصليب للتلميذ «هوذا أمك»، ولوالدته «يا امرأة هوذا ابنك»

(يو ١٩: ٢٧). لو كان لمريم أولاد أصغر من يسوع أو عائلة أخرى لماذا يقول الكتاب «ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته» (يو ١٩: ٢٧).

إذا لا بد من تفسير كلمتي «إخوة» و«أخوات» الواردة أعلاه في متى ١٣: ٥٥ و٥٦. من الناحية الكتابية كلمة أخ، بالإضافة إلى القرابة الجسدية، تعني أيضاً كل قريب وكل عضو في القبيلة. لذا فإننا نقرأ في سفر التكوين ان إبراهيم هو عم لوط (١١: ٢٧) ثم نقرأ بأن لوط هو أخو إبراهيم (١٤: ١٤ و١٦). ونقرأ في سفر الخروج عن خروج لموسى لافتقاد إخوته العبرانيين (٢: ١١). من هذا المنطلق فإن كلمة أخ لا تعني الأخ بالجسد بالضرورة. يتضح المعنى أكثر إذا قرأنا ما كتبه الإنجيلي يوحنا: «وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية» (١٩: ٢٥). نحن نعلم ان لأحد يسمي أختين بالإسم نفسه.

بالإضافة إلى هذا، كلمة «البكر» الواردة في لو ٢: ٧ ومتى ١: ٢٥ لا تعني بالضرورة ان له إخوة، بل تعني انه المولود الأول بغض النظر عن وجود إخوة أم لا، وهذا ما تثبته تسمية الله لشعبه الوحيد في العهد القديم «إسرائيل ابني البكر» (خر ٤: ٢٢).

ان الذي ولدته مريم هو المسيح ابن الله، فلا بد ان يحفظها هذا المولود مُصانة وبتولاً. لذا فهي بقيت بتولاً قبل الولادة وبعدها، وهذا ما ستبقى الكنيسة تعلمه حتى المجيء الثاني.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:**

[www.quartos.org.lb](http://www.quartos.org.lb)